هيجل وفلسفته التاريخية, ومنظوره السياسي ١٧٧٠-١٨٣٠م

د. مفرح بن حميد العنزي
أستاذ العلاقات الدولية المساعد
جامعة حائل

الملخص

يختص هذا البحث بإبراز المفاهيم والتصورات الهيجلية في ميدان الفلسفة التاريخية بهدف توضيحها وتحديدها والوقوف على أهميتها وأدوارها المختلفة، كما يتناول البحث نظريته السياسية من خلال مجموعة من الركائز الرئيسة. ولعل من أهم تلك الركائز العقل وقدرته على القيام بدور هام في حياة الفرد والمجتمع، وأبعاد وحدود هذا الدور ومدى تأثيره في تحقيق وإقامة المجتمع والدولة على أسس عقلانية. ويضم البحث ثلاثة مباحث، وقد خصص أولاها لهيجل وعصره حيث يتضمن نشأة هيجل ومؤلفاته، وأوضاع ألمانيا, وأثر الثورة الفرنسية على هيجل. ويعالج المبحث الثاني موضوع الحرية عند هيجل, وحقيقة التاريخ، ومسألة النزوع التاريخي نحو الحرية. أما المبحث الثالث والأخير فهو يناقش إشكالية الدولة وتحقيق الحرية من خلال مفهوم الدولة وتحقيق الحرية، وعلاقة الدولة بالمجتمع، وعلاقة الفرد بالدولة. كما يشتمل البحث على خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، علاوة على قائمة بالمصادر والمراجع .

وقد اعتمد الباحث أساساً في دراسته على مؤلفات هيجل المترجمة ومنها محاضرات في فلسفة التاريخ، والعقل في التاريخ، ومبادئ فلسفة الحق، ومختارات، بالإضافة إلى العديد من الدراسات الكتب المترجمة التي تحدثت عن هيجل وأهما دراسة: إمام عبد الفتاح إمام: المنطق الجدلي عند هيجل، دراسة لمنطق هيجل رسالة دكتوراه منشورة، ط ٢، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٢م. علاوة على بعض الكتب العربية. وتجدر الإشارة إلى أن الباحث قد اتبع المنهج التحليلي الوصفي في عرض الوقائع والأحداث.

كلمات دلالية: هيجل، فلسفة التاريخ، الثورة الفرنسية، الدولة الكليانية، عقلنة الدولة، الحرية.

Abstract

This research highlights the hegemonic concepts and perceptions in the historical philosophy field to showcase their importance and different roles and reveal their political theory through a set of key pillars suggested by Hegel. Of these pillars, reason was identified to be a leading pillar for its ability to play a critical role in the life of an individual and the society, the dimensions and limits of this role and its impact on the realization and rational establishment of the society and the State. A descriptive-analytical approach was adopted to present the research facts acquired through three investigations. The first investigation was devoted to Hegel, including the genesis of Hegel's philosophy, his writings, and the impacts of the French Revolution and the situation in Germany on Hegelianism. The second addressed Hegel's concept of freedom and the related fundamental issues, with the most crucial being questions of freedom and the reality of history, questions related to the means of freedom in history, and the issue of the historical propensity for freedom. Lastly, the investigation focused on the issue of the state and the achievement of freedom through three major themes: the axis of the concept of the state and the realization of freedom; the axis of the state's relationship with society; and the axis of the individual's relationship with the State. The study ends with the researcher's conclusion on the findings related to Hegelianism and the principles of freedom, reason, self-consciousness, and recognition and their contribution to social and political reality, whose comprehensive meaning can only be captured by understanding their historical and social embodiment.

The researcher heavily relied on Hegel's translated works, including lectures on the philosophy of history, reason in history, principles of philosophy of truth, anthology, and multiple translated books and studies featuring Hegelianism. such as Imam Abdel Fattah Imam: His study of the Logic of Hegel, a published Doctoral Thesis, 2 ed , Dar altanwer, Beirut,1982. It should be noted that the researcher has followed the descriptive analytical method in presenting the facts and events.

هيجل وفلسفته التاريخية, ومنظوره السياسي ١٧٧٠-١٨٣٠م

د. مفرح بن حميد العنزي
أستاذ العلاقات الدولية المساعد
جامعة حائل

المبحث الأول
هيجل وعصره

يعد الارتباط بفلسفة هيجل ارتباطاً مصيرياً بالنسبة إلى كل الفلسفات التي ظهرت في العالم من بعده، فلم يكد يخلو تيار فلسفي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من موقف محدد من هيجل سواء بالتأييد أو المعارضة. سوف يتناول هذا المبحث نشأة هيجل ومؤلفاته, وأوضاع المانيا, وأثر الثورة الفرنسية علي هيجل.

أولاً: نشأة هيجل ومؤلفاته: هو جورج وليام فردريك هيجل، ولد في ولاية بادن فورتمبرغ الألمانية في ٢٧ أغسطس ١٧٧٠م، وكان الابن الأكبر في أسرة متواضعة حيث يعمل الوالد كموظف صغير لدى الحكومة[١]. وأظهر هيجل منذ سن مبكرة ميلا قويا نحو دراسة التاريخ والآداب اليونانية واللاتينية، ولما بلغ الثامنة عشر التحق بجامعة توبنجن[٢]، مختاراً التخصص في دراسة اللاهوت، لكنه كان مدفوعاً بطموح أكبر يتجاوز هذا اللون من الدراسة إلى دراسة الطبيعة والفلسفة[٣].

وقد أُعجب هيجل إلى حد كبير بالأفكار التي نادى بها جان جاك روسو (Jacques Rousse) تلك التي تضمنها كتابه العقد الاجتماعي. كما اجتذبته أفكار إمانويل كانت (Immanuel Kant) وأفلاطون حيث تعمق في مطالعته لمذهبيهما الفلسفيين[٤]. واشتغل بين عامي ١٨٠٠-١٧٩٣م بالتدريس في مدينة بيرن السويسرية

(١) هيجل: **محاضرات في فلسفة التاريخ**، ج ١، ط ٢، ترجمة وتعليق وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ١٩٨١ م، ص ١٠-٧.
(٢) أبو جابر، فايز صالح: **الفكر السياسي الحديث**, د.ط, دار الجيل, بيروت, ١٩٨٥م, ص ١٤٨.
(٣) هيجل: **محاضرات**، ص ١٣-١٥.
(٤) سينجر، بيتر: **هيجل**، ط ١، ترجمة محمد إبراهيم السيد, مؤسسة هنداوي, القاهرة, ٢٠١٥م, ص ١٢-١٦

وفي ألمانيا، مسجلاً خلال هذه الفترة العديد من الخواطر حول فلسفة الأديان، إذ اتسمت آراؤه بنزعة عقلية تحررية تجاه الدين. كما استحوذت على تفكيره مسائل الاقتصاد السياسي، وتعتبر هذه الفترة تأسيسية لفلسفته(٥).

وفي عام ١٨٠١م عمل هيجل مدرسا جامعيا في جامعة جينا (Jena) الألمانية، وقد اشتملت المحاضرات التي كان يلقيها على طلابه علوم: المنطق، والميتافيزيقيا، وتاريخ الفلسفة، وفلسفة التاريخ، وفلسفة الرياضيات البحتة(٦). والجدير بالذكر أن جامعة جينا كانت آنذاك معقلا لحركة فكرية وفلسفية مرقومة حيث قامت بنشر تعاليم الفيلسوف الألماني إمانويل(٧).

ثم عين هيجل أستاذا بجامعة هايدلبرج عام ١٨١٦م، وما لبث بعد مضي سنتين فقط أي عام ١٨١٨م أن ارتقى إلى استاذ كرسي بجامعة برلين، وظل في هذا المركز الرفيع ثلاث عشرة سنة بلغ فيها قمة الهرم العلمي، وغدا زعيم الفكر الفلسفي في ألمانيا من غير منازع حتى وفاته بالكوليرا في ١٤نوفمبر ١٨٣١م(٨).

أما عن مؤلفاته فقد ترك هيجل تراثا فكريا جامعا شمل المنطق والطبيعة والفلسفة النقدية وفلسفة التاريخ، ومن بين مؤلفاته الكثيرة " ظاهريات الفكر" الذي ألفه عام ١٨٠٧م، والذي يعتبر بمثابة تقديم وعرض الخطوط الكبرى لفلسفته، إذ يكشف فيه عن الوحدة التي تربط بين الوعي الذاتي والوعي الموضوعي، وأن التطور من أحدهما إلى الآخر لا يتم دفعة واحدة، بل بتدرج عبر أشكال ودرجات متعددة يصل الإنسان بعدها إلى معرفة الحقيقة التي تجمع بين الذاتي (الجزئي) والموضوعي (الكلي).

وفي عام ١٨١٢م نشر هيجل المجلدين الأول والثاني في " علم المنطق " والمجلد الثالث منه عام ١٨١٦م، وتعرض هذه المجلدات بعمق المنهج الذي ارتكزت إليه الفلسفة

(٥) كامل، محمد عويضة: **هيجل دراسة وتحليل في الفلسفة المعاصرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م, ص ١١- ١٢.
(٦) سينجر: **هيجل**, ص ١٩-٢١
(٧) أبو جابر: **الفكر السياسي الحديث**, ص ١٢٦-١٢٧.
(٨) ولتر، ستيس: **فلسفة هيجل: المنطق وفلسفة الطبيعة**، ترجمة : إمام عبد الفتاح امام مع ٣٠١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٧٦-٧٩

الهيجلية[٩]، وعام ١٨١٧م نشر هيجل (موسوعة العلوم الفلسفية)[١٠]، وفي عام ١٨٢٠م نشر كتابه (أسس فلسفة الحق)[١١].

بعد وفاة هيجل اهتم طلابه والمهتمون بفلسفته بنشر ذلك التراث الفكري الضخم. وقد نشرت المجموعة الأولى منه في ثمانية عشر مجلدا بين عامي ١٨٣٢- ١٨٤٥م, والمجموعة الثانية التي بلغت اثني عشر مجلدا بالإضافة إلى الرسائل التي جمعها ابنه كارل (Karl) ونشرت عام ١٨٨٧م[١٢].

ولا شك أن الهيجلية أضحت تيارا فكريا وفلسفيا يتناول الطبيعة والفكر والمجتمع والتاريخ ليس في المانيا وحسب، وإنما في أوروبا وأمريكا، لا بل إن قوة تأثيرها لمدرسة فلسفية عالمية ظلت سائدة طيلة القرنين التاسع عشر والعشرين.

ثانياً: الثورة الفرنسية وأثرها على هيجل:

شكلت الثورة الفرنسية منعطفا حضاريا حاسما في تاريخ فرنسا وأوروبا بل في تاريخ العالم كله. إذ لم تكن الثورة الفرنسية مجرد حدث سياسي انتهى بإعدام الملك وقلب نظام الحكم من ملكي إلى جمهوري، بل كان حدثا تاريخيا شاملا بكل معنى الكلمة إذا كان " ثمرة اختمار موروث فكري وانساني وحضاري زاخر عميق الجذور وحصيلة جهود بشرية كثيرة متطلعة دائما نحو غد أفضل وحياة كريمة"[١٣].

ولقد كان لما حققته الثورة الفرنسية من إنجازات على صعيد الفكر والواقع صداه الواسع في ألمانيا واستقطبت اهتمام شبابها ومثقفيها، ولقد كان لتلك الأفكار وقعها

(٩) حول هذا المنهج الجدلي، انظر: إمام، عبد الفتاح: **المنطق الجدلي عند هيجل**، دراسة لمنطق هيجل، رسالة دكتوراه منشورة، ط ٢، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٢م.

(١٠) بوقرن, عبدالله: **الآخر في جدلية التاريخ عند هيجل**, رسالة دكتوراة غير منشورة, قسم الفلسفة, جامعة منتوري قسنطينة, ٢٠٠٦-٢٠٠٧, ص ٩٥-٩٨.

(١١) الديدي، عبد الفتاح: **فلسفة هيجل**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٤ وما بعدها.

(١٢) مراد، محمد: **المدارس التاريخية الكبرى**، مكتبة الفقيه، بيروت، ١٩٩٦ م، ص ١٨٧.

(١٣) بيضون، إبراهيم: **الثورة الفرنسية بين المؤثرات وتناقض المكان**, مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء، بيوت، العدد ٥٩، ١٩٩٠م، ص ٢٥.

الشديد على فكر هيجل وفلسفته بجوانبها المختلفة[١٤]، وقد انعكس ذلك في ثلاثة مستويات فكرياً وايديولوجياً وسياسياً.

المستوى الفكري:

لقد كانت فكرة السيادة المطلقة للعقل على الواقع الفكرة الأكثر تأثيرا من بين أفكار الثورة الفرنسية في تفكير هيجل وفلسفته فقد كان يرى أن التحول الهام الذي طرأ على التاريخ البشري كله مع الثورة الفرنسية، كان في انتقال الإنسان إلى الإعتماد على عقله، وتجاسره على إخضاع الواقع المعطى لمعايير العقل وأحكامه[١٥].

وقد ربط هيجل نفسه بين تصوره للعقل وبين السيادة المطلقة للعقل على الواقع الذي أعلنته الثورة الفرنسية وسعت لترجمته عمليا بالعمل على تحقيق التوافق بين النظم الإجتماعية والسياسية وبين حرية الفرد ومصالحه في المجتمع الفرنسي، فالثورة بحسب هيجل جعلت من العقل المقياس الوحيد لكل ما هو موجود[١٦].

ولقد حاول هيجل أن يدمج ذلك الحدث التاريخي الذي تحقق على أيدي أبطال الثورة الفرنسية في مجرى التاريخ الكلي للروح، وتطوره وارتقائه عبر التاريخ فرأى فيه لحظة من لحظات التحقق الموضوعي للروح المطلق، وطوراً جديدا أكثر اكتمالا لسيطرة الروح على العالم[١٧] أيضا ". إذ **إن** الثورة الفرنسية التي خرجت من الفكر ومن فلسفة القرن الثامن عشر أخضعت كل شيء للنقد. واضطرته للمثول أمام المحكمة لكي يبرر وجوده أو زواله وسقوطه[١٨].

---

(١٤) قزرون, محند أعراب: **المجتمع المدني عند هيجل**, رسالة ماجستير غير منشورة, قسم الفلسفة, جامعة الجزائر٢, ٢٠١١م, ص ١٨-١٩.

(١٥) ماركيوز، هربرت: **العقل والثورة**، ترجمة زكريا، فؤاد، المؤسسة المصرية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٠.

(١٦) روجيه غارودي: **كارل ماركس**، ترجمة جورج طرابيشي، دار الأدب، بيروت،١٩٧٠م، ص ٠٢١

(١٧) بورجوا, برنارد: **فكر هيجل السياسي**، ترجمة الأب إلياس زحلاوي، وزارة الثقافة، دمشق،١٩٨١م، ص ٣٢.

(١٨) هيجل: **مختارات**، ج٢، ط ١, ترجمة إلياس مرقص، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٨٨.

المستوى الأيديولوجي:

تابع هيجل باهتمام كبير الثورة الفرنسية وتحمس للأفكار والمباديء التي أعلنتها معلنا اختفاء العالم القديم وبداية عصر انساني حضاري جديد في تاريخ البشرية ومجيء عهد فلسفة الأنوار التي أعلنت حكم الإنسان على الأشياء(١٩).

لكن موقف هيجل تبدل حسب تطور وقائع الثورة الفرنسية فقد رأى هيجل في حكومة روبسبير (Robespierre) ١٧٩٣-١٧٩٤م, فشل دولة العقل, لأن المبدأ الحاكم هو مبدأ القوة لا مبدأ العقل(٢٠).

ورأى في قيام نظام نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte) الذي بدأ عام ١٧٩٩م تعبيرا تاريخياً عن واقع المجتمع الفرنسي لأنه نموذج كلي عياني استوعب المشروعات الفردية في الدولة الكليانية(٢١).

٣- المستوى السياسي:

لقد ادت انتصارات الجيوش الفرنسية في (ألمانيا) إلى تفاقم تمزقها حيث أفضى مؤتمر راشتادت إلى ضم جزء من أراضي ألمانيا لفرنسا، وفي عام ١٨٠٣م احتل نابليون إمارة هانوفر التي كانت ترتبط بإنجلترا باتحاد خاص، وسحقت الجيوش الفرنسية جيش بروسيا عام ١٨٠٦م، ودخل نابليون برلين. ويعقد نابليون مؤتمر تلسيت عام ١٨٠٧م الذي فقدت بروسيا معه كل أراضيها غرب جبال الألب(٢٢). كل ذلك جعل هيجل يتحول عن المثل الأعلى البرجوازي، ليأخذ بضرورة مبدأ الحياة نفسها، أو قوة الواقع ذاته، التي يوجهها مبدأ العقل على المستويين النظري والواقعي ويحكمها الفكر، لأنه

(١٩) روجيه غارودي: **فكر هيجل**، د.ط, ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥١
(٢٠) نازلي، حسين: **الشعب والتاريخ عند هيجل**، د.ط, دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٢.
(٢١) غارودي: **فكر هيجل**، ص ٥٧.
(٢٢) الدسوقي، محمد كمال: **تاريخ ألمانيا الحديث**، د.ط, دار المعارف، القاهرة،١٩٩٦م،ص ٦٥-٦٧.

رأي في تحول الثورة الفرنسية من الدفاع عن نفسها إلى التوسع والإعتداء تحولاً عن مثلها العليا وفشل الفضيلة المجردة التي حاولت الثورة فرضها بالقوة(٢٣).

ثالثاً: أوضاع المانيا وأثرها على هيجل:

رأى هيجل عام ١٨٠٢م أن ألمانيا لم تصبح دولة فمن الناحية السياسية كانت ألمانيا مقسمة إلى عدد كبير من الدويلات والإمارات والإقطاعيات المتباعدة والمختلفة المصالح من النمسا وبروسيا والأمراء الناخبين و١٠٣ من البارونات، و٤٠ أسقفا، و٥١ مدينة أي أنها باختصار تتألف من ثلاثمائة اقليم(٢٤).

ومن الناحية الإقتصادية كانت المؤسسات الصناعية صغيرة وقليلة العديد متناثرة في الدويلات والإقطاعيات لا تملك القدرة على التوسع أكثر وإيجاد سوق وطنية أو قومية موحدة(٢٥).

وفيما يخص الصراع الأيديولوجي بين البرجوازية الصاعدة والإقطاع في ألمانيا كانت ألمانيا تحافظ على كل ما هو بائس في أشكال الإنتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة فمخلفات الإقطاع ما تزال تضرب بجذورها في أرجاء البلاد كافة، وتسيطر على مختلف جوانب الحياة تقريبا(٢٦).

ومن الناحية الإجتماعية كان الفرد في وجوده الإجتماعي مستبعدا أو مستبعد غيره من الناس، وكان الفقر والجهل والفساد يعم جوانب الحياة. ولقد خلق هذا الوضع جيشا من المشردين والمقتلعي الجذور إجتماعيا وتحول قسم منهم إلى عصابات سرقة ونهب(٢٧).

ولتجاوز هذه الأوضاع والإنتقال بألمانيا إلى العصور الحديثة بتحكيم العقل عن طريق عقلنة الواقع نفسه بتحقيق الوحدة والحرية في ألمانيا على النحو الذي تحقق عليه

(٢٣) امام، عبد الفتاح امام: **دراسات هيجلية**، د.ط, دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤ م، ص ٧٠-٧٣

(٢٤) ماركيوز: **العقل والثورة**، ص ٣٧

(٢٥) خليل، حامد: **مشكلات فلسفية**، د.ط, منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٤م، ص ١٨٢.

(٢٦) سبنله، جان ادوارد: **الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه**، د.ط, ترجمة تيسير شيخ الأرض، وزارة الثقافة دمشق، ١٩٦٨م، ص ٢٤.

(٢٧) ماركيوز: **العقل والثورة**، ص ٣٨.

في فرنسا إذ ليس مسار التاريخ في حقيقته عند هيجل إلا تعبيرا عن تقدم الوعي بالحرية(٢٨).

غير أن قدرة العقل على الإنتصار على اللامعقولية الاجتماعية السائدة، وتحقيقه السيادة الكاملة لأحكامه على الواقع ليست ممكنة أبدا عند هيجل ما لم يصبح الواقع ذاته معقولا. وتلك عملية طويلة تبدأ من أدنى مستويات الطبيعة وتسير في مراحل مختلفة لترتفع إلى أعلى شكل للوجود(٢٩).

ولكن لم يدع هيجل إلى قيام ثورة برجوازية في ألمانيا لأن الثورة الفرنسية البرجوازية انحرفت إلى الحروب والعدوان، إضافة إلى أن البرجوازية الألمانية ضعيفة وغير واعية أو مستنيرة ولا تستطيع القيام بالدور الذي قامت به البرجوازية الفرنسية، بل أنه كان يرى ضرورة سيطرة بروسيا على كل الإمارات الألمانية(٣٠).

المبحث الثاني
الحرية عند هيجل

إذا كانت القراءة الفلسفية للتاريخ الكلي قد أظهرت أن الموضوع الحقيقي للتاريخ هو الكلي لا الفردي، وأن الروح على هذا المسرح الكبير تكشف عن نفسها من خلال نمو المجتمعات والدول الحضارات التي تجسد نشاط الروح في عالم الموضوعية التي أوجدته هي نفسه، وتعبر تعبيرا كاملا عن العقل وتجسده في هذا العالم أيضا(٣١). وهذا يعني في حقيقته أن للتاريخ غاية يسعى إلى تحقيقها وليست تلك الغاية سوى تحقيق الوعي الذاتي للروح الذي لا ينفك بأي حال من الأحوال عن الحرية، فالروح حرية، والحرية هي ماهية الروح وحقيقتها(٣٢).

(٢٨) هيجل: **العالم الشرقي**، د.ط, ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٧.
(٢٩) أبو جابر: **الفكر السياسي الحديث**, ص ١٤٩-١٥٠.
(٣٠) ماركيوز: **العقل والثورة**، ص ٢٩.
(٣١) هيجل: **العقل في التاريخ**، ط٢، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة فؤاد زكريا، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٥٠.
(٣٢) هيجل: **العقل في التاريخ**, ص ٧٨.

أولاً: الحرية ماهية الروح وحقيقة التاريخ: يذكر هيجل أن قوام الحرية أن لا تكون الذات محددة بشيء غير ذاتها، وحرية الذات بحسب مفهومها، هي معرفة بذاتها، والحرية من أجل ذاتها، هي غاية ذاتها أيضا(٣٣). ومن الضروري في ذلك الوعي والتمييز بين شيئين الأول واقعه أني أعرف، والثاني ماذا أعرف.

فإن هذين الشيئين في حالة الوعي الذاتي يمتزجان في شيء واحد لأن الروح " تعرف نفسها، وهي تقوم بتقديم لطبيعتها الخاصة، كما أنها تنطوي على الفاعلية التي تمكنها من تحقيق نفسها، بحيث تجعل من نفسها بالفعل ما كانت عليه بالقوة(٣٤). فتكون هي الذات والموضوع، في أن معا، أو تكون العارف والمعروف في وقت واحد، وهذا لا يعني في حقيقته إلا أن الروح حرة بما هي كذلك. مما يعني أن الحرية هي العنصر الصوري في نشاط الفكرة والروح هي الحرية. تخوض الفكرة معركة الروح في سعيها لإحراز الوعي الكامل بذاتها أو تحقيقها الوعي المطلق بذاتها فحقيقة الحرية وشرطها هو الوعي الذاتي بل هو الحرية نفسها، وإن كانت الحرية على الإجمال هي شرط صوري لوجود الروح. فإن تحقيق الروح بالوعي الذاتي شرط وجود الحرية وتحققها، من خلال تملك القدرة على أن تعمل(٣٥). أي أن الروح تكون حرة حرية حقيقية عندما تترجم الحرية الصورة إلى واقع عملي.

فطبيعة الروح (الحرية)، وفكرتها إذن هي شيء مجرد عام فحسب، أي هي محض إمكانية، وإن تحقيق الوعي الذاتي للروح تحققا فعليا يشترط قدرة الذات على ترجمة وعيها إلى سلوك عملي صحيح لأن الوعي الذاتي الذي يظهر موضوعه، أو يضع مضمونه أو غايته ويرتفع به إلى مستوى الكلية هو الحرية ذاته إذ " ليست الحرية سوى معرفة وإرادة الموضوعات الكلية الجوهرية وإنتاج واقعي حقيقي يطابقها"(٣٦).

(٣٣) هيجل: **العقل في التاريخ,** ص ٤٨.
(٣٤) هيجل: **العقل في التاريخ,** ص ٨٨ .
(٣٥) هيجل: **العقل في التاريخ,** ص ٨٦-٨٨ .
(٣٦) هيجل: **العقل في التاريخ,** ص ٨٩ .

لأن الفعل الحق هو ترجمة لتلك المعرفة التي لا تفصل بين صورته ومضمونها، وهي تضع صورتها لا تضع إلا مضمونها، ولا تستند إلى شيء ما عدا ذاتها(٣٧).

غير أن كون الحرية هي ماهية الروح وحقيقتها أو جوهرها لا يعني أن الروح تحقق حريتها مباشرة، بل أن الروح تحقق هذه الحرية عبر مسار التاريخ البشري كله، بحيث أن هناك تساويا في إظهار تلك الماهية. فكما أن النبتة تنشر من بذرتها أغصانها وفروعها وأوراقها وتنتج ثمارها أيضا عبر الأيام فإن الروح تسفر عن تحقيق حريتها على مراحل.

وذلك ابتداء من كونها حرية لشخص واحد عند الشرقيين إلى كونها حرية البعض في مجتمع أثينا وروما. وأخيرا إلى كونها حرية للجميع، حرية للإنسان بما هو إنسان في الأمم الجرمانية بفلسفتها المثالية ودياناتها المسيحية، ونظامها الملكي الوراثي - حسب هيجل – وتحقيق الروح لحريتها في مستوياتها المتصاعدة.

ثانياً: وسائل تحقيق الحرية في التاريخ: صفات الروح كلها لا توجد إلا بالحرية، وإنها كلها ليست الا وسيلة لبلوغ الحرية. فالحرية ماهية الروح وجوهرها وحقيقتها الوحيدة وسيدها الأساسي الذي يكشفان والإنسان هو وسيلة الروح وأدائها الفعالة في كفاحها من أجل تحقيق حريتها تحقيقا فعليا عبر التاريخ مع أهمية الوقوف عند العامل الطبيعي الجغرافي كأساس جغرافي التاريخ العالم يترك آثاره عليها تلك الشعوب(٣٨).

وعلى ضوء ذلك لا بد من الوقوف عند عاملين أولهما الإنسان بوصفه أداة الروح ووسيلتها والثاني العامل الجغرافي بوصف الأرض الحامل الميتافيزيقي للروح".

العامل الأول: العامل البشري الإنسان: إن الإنسان أداة الروح في سعيها لتحقيق حريتها أو وسيلتها لتحصيل ذلك هي حقيقة تكشف عن نفسها تحت شكلين.

(٣٧) غارودي: **فكر هيجل**، ص ١٠٦-١٠٧.
(٣٨) سيرو، رينيه: **هيجل والهيجلية**، د.ط, ترجمة نهاد رضا، دار الأنوار، بيروت، د.ت، ص ٤١.

الشكل الأول: الإرادة والفعالية البشرية بشكل عام، بالرغم من أن الموضوع الحقيقي للتاريخ هو الكلي لا الفردي ومضمونه الأساسي هو تحقيق الوعي الذاتي للروح بذاتها لا مصالح الافراد وحاجاتهم(٣٩). وهذا يعني ان التاريخ مكون من عنصرين لا ينفك احدهما عن الآخر، هم الكلية والجزئية.

فما تحققه الغربية في العالم الحسي، والنمو الذي تكون مائلة عليه وتؤكد فيه ذاتها. وممن خلاله تجعل نفسها كلية، مما يعني إلغاء كل طبيعة فردية لأن العمل الذي يخدم في البداية الحاجة المباشرة للفرد يصبح عملا مهما ومجردا وعلى هذا النحو يصبح الفرد عاملا مشاركا في تلبية حاجات الآخرين جميعا مع تجرده عن حاجاته الخاصة دائما(٤٠).

الشكل الثاني: البطل أو العظيم الذي يجسد الكلي إذ يتحول إلى شيء جزئي حين يتحقق فالمسار الديالكتيكي لتحقق الوعي بالحرية عبر التاريخ هو الذي يحدد الأفراد العظام، أو رجال التاريخ الذين ينفذون الخطة الكبرى لتحقيق الروح لحريتها(٤١). فعلى الرغم من أن صراع قيصر مع خصومه في الإمبراطورية الرومانية كان يبدو ظاهره صراعا شخصيا من اجل دوام سلطته، وكان خصومه يسعون إلى تحقيق أهدافهم وكان في صفهم شكل الدستور والقوة التي يضفيها عليهم مظهر العدالة وقد كان مبدأ انتصاره حافزا لا واعيا هو الذي هيأ له تحقيق ما كان نضج الزمن من اجله، فما ضمن له تنفيذ مقصده من أن يصبح الحكم المطلق في روما كان في الوقت ذاته سمة ضرورية قائمة بذاتها، أو مرحلة هامة في تاريخ روما وتاريخ العالم(٤٢). ومن ثم، فالشخصيات التاريخية أدوات الروح، بعد أن تؤدي رسالتها تسقط، لأن الأفراد ليسوا وحدهم الذين يعتلون خشبة المسرح بل الشعوب أيضا(٤٣).

(٣٩) هيجل: **العقل في التاريخ,** ص ٩٠.
(٤٠) هيجل: **فلسفة الحق,** ص ٢٢٨ .
(٤١) هيجل: **العقل في التاريخ,** ص ٩٩.
(٤٢) هيجل: **العقل في التاريخ,** ص ١٠١-١٠٢ .
(٤٣) هيجل: **العقل في التاريخ,** ص ١٠١-١٠٢.

العامل الثاني: الطبيعي الجغرافي: ليس للطبيعة من قيمة في نظر هيجل إلا بمقدار ما يكاد يكون في البدء ملتصقا بالطبيعة، ومن منظور رؤيته الجدلية فقد استبعد هيجل من المسار التاريخي لتقدم الوعي بالحرية أن ينشأ هذا الوعي بالحرية. لأن هذا العالم ينظر إليه بوصفه أرض المستقبل وطبيعة الدراسة الفلسفية للتاريخ عدم التنبؤ بالأحداث المقبلة بل الوقوف عند الحاضر. مؤكدا أن العالم القديم أوروبا وآسيا وافريقيا (ما يشرف منها على البحر المتوسط فقط) هي المنطقة التي يحدث فيه المسار الحقيقي للتاريخ(٤٤).

ويتجلى المسار الجدلي لتحقق الحرية في الزمان والمكان، بوصفه مسارا " يتجه من الشرق إلى الغرب، لأن أوروبا هي نهاية التاريخ على نحو مطلق كما أن آسيا هي بدايته فتاريخ العالم له شرق محدد هو آسيا فيها تشرق شمس الوت إلى شماله ويصل إلى الحد الأعلى الذي تجسده الأمم الجرمانية(٤٥).

ثالثاً: النزوع التاريخي نحو الحرية: يعارض هيجل آراء فلاسفة التنوير القائلة بالحرية الطبيعية وبالحقوق الطبعيية للناس كافة(٤٦)، لأن الحرية حسب هيجل بوصفها مثلا أعلى لما هو أصلي وطبيعي، لا توجد كشيء طبيعي وأصلي ولكن ينبغي السعي للحصول عليها ونيلها وذلك بعد توسط عملية تهذيب وترويض هائلة للقوى الأخلاقية والعقلية حيث مرت بثلاث مراحل: **المرحلة الأولى** في العالم الشرقي، **والمرحلة الثانية** اليونانية الرومانية، **والمرحلة الثالثة** الجرمانية التي تعد الذروة ويمكن إيضاح كل ذلك على النحو الآتي:

المرحلة الأولى في العالم الشرقي: تتمثل المرحلة الأولى من مراحل تقدم الوعي بالحرية والروح هنا لصيقة بالطبيعة، أو أنها تبدأ رحلة وعيها لذاتها وتحقيقها

(٤٤) هيجل: **العقل في التاريخ**, ص ١٥٨-١٦٤.
(٤٥) هيجل: **العقل في التاريخ**, ص ١٨٩
(٤٦) للمزيد من التفاصيل عن الحقوق الطبيعية والمساواة والحرية، في أراء أبرز فلاسفة القرن الثامن عشر يراجع: جان جاك روسو: **العقد الاجتماعي**، د.ط, ترجمة يولس غائم، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٧٢م.

لحريتها غارقة بالطبيعة ومرتبطة بها حتى ليمكن وصفها بصفة عامة بأنها روح طبيعية لا تمايز فيها بين الداخلي والخارجي، أو بين الحس الأخلاقي والقانون الخارجي، أو بين الدين والدولة، أو بين الطاعة الإرادية للقانون وبين الإمتثال له امتثالا مفروضا لا عن اختيار بل عن خضوع وإرغام وطاعة(٤٧).

وكانت الروح غارقة في حضارات الشرق جعلت درجة الوعي بالحرية التي حققها الشرقيون محدودة للغاية، أو هي تكاد تتطابق مع اللاحرية وجعلت من الروح هنا كائنا أقرب إلى العبد منه إلى السيد الحر(٤٨).

وإن الوعي الذاتي للروح بذاتها، أو وعيها بحريتها قد مر مساره في العالم الشرقي بأربع فترات، **الفترة الأولى** حسب هيجل هي روح الصين التي لا يوجد فيها شيء يمكن أن يدعى حرية، أو وعي ذاتي بالحرية لأن الإمبراطور يتربع على قمة البناء الاجتماعي والسياسي، وهو المشروع الخاص للسماء والأرض، وهو يمارس حقوقه بطريقة الأب مع أبنائه فهو كبير العائلة، واحترامه واجب مقدس ومفروض على الكل(٤٩).

وتمثل الهند **الفترة الثانية** حيث يستسلم الجميع لمصير واحد قد حدد لهم تحديدا جوهريا طبيعيا كل بحسب طبقته **"الطبقات** الأربع في المجتمع الهندي هي، البراهما، الكاشاتريه، الفيزيا، الشودرا" ولم تكن الحدود والواجبات في الهند سوى شيء جزئي ينتمي للإنسان عن طريق الطبيعة(٥٠).

والفترة الثالثة تمثلها روح فارس حيث آسيا القريبة من أوروبا تتنسم الروح النسمات الأولى للحرية وتوجد نفحة من نفحات التقدم الحقيقي للوعي بها وتحقيقها، حيث تعد الزرادشتية ميزة لروح فارس التي تنتمي إلى عالم الوعي وإلى الروح كعلاقة بشيء متميز لأن الذات هنا تسعى إلى تأكيد ذاتها في وحدتها، ويسعى الخير إلى تأكيد ذاته ضد

(٤٧) هيجل: **العالم الشرقي**، ص ٦١-٦٢.
(٤٨) هيجل: **العالم الشرقي**، ص ٦٢.
(٤٩) هيجل: **العالم الشرقي**، ص ١٦-١٨.
(٥٠) هيجل: **العالم الشرقي**، ص ٩٨-٩٩.

الشر الذي يمثله الظلام[٥١]، وتمثل مصر **الفترة الرابعة** في العالم الشرقي وهي الأكثر تقدما للوعي بالحرية والتي تعد بناء على ما كان في فارس وبابل وسوريا وأصبح خالصا عند اليهود. وكانت المهمة التي قامت بها روح مصر هي توحيد هذه العناصر المتناقضة وانعكس ذلك بوضوح شديد في الفن المصري الذي عبر فيه المصريين عن تطلعاتهم المختلفة تصوراتهم حول حرية الإنسان والروح البشرية ويعد تمثال أبو الهول الأكثر بلاغة ووضوحا لتطلعات الروح المصرية واندفاعاتها نحو ما تبدأ في الإنبثاق من جانب الطبيعة، متفرعة نفسها من هذا الجانب نحو التحرر[٥٢]. ومما يلفت الانتباه هو إهمال هيجل لحضارة ما بين النهرين والشام حيث يشير إليها كرافد بسيط للحضارة المصرية مع إغفاله الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية.

أما المرحلة الثانية: فهي مرحلة الحضارة اليونانية الرومانية والتي تشكل حدا وسطا بين لا شخصية الإنسان ولا ذاته التي كانت في مبدأ العالم الشرقي بشكل عام والذاتي اللامحدودة بوصفها وعيا كاملا بالذات والتي هي مبدأ الأمم الجرمانية ففي هذه المرحلة تتحرر الروح من ارتباطها بالطبيعة والتصاقها الشديد بها عن طريق مجاوزة الروح للطبيعة من ناحية وعلى وضع الذات للطبيعة من ناحية أخرى – وإن لم يكن السيد اليوناني أو الروماني هو الذي اضطلع بهذا الوضع دوما لأن العبد هو الذي قام بمواجهة الطبيعة في هذا المستوى الروحي لمصلحة سيده – مما يكشف أن الإنسانية قد انتقلت من طفولة الشرق إلى شباب العالم الإغريقي، ومن ثم إلى رجولة العالم الروماني، وإن الوعي قد استيقظ هنا على حقيقته ولأول مرة في تاريخه وذلك حين يتساءل الإنسان عن مصيره وعن علاقة هذا المصير بالقدر[٥٣].

وما تحقق في هذه المرحلة هو الحرية لمجموعة من المواطنين، وهذه المجموعة هي وحدها التي استمتعت بهذه الحرية بينما كانت أكثريته عبيدا أرقاء

(٥١) هيجل: **العالم الشرقي**، ص ١٤٥.
(٥٢) هيجل: **العالم الشرقي**، ص ١٧٨.
(٥٣) هيجل: **العقل في التاريخ**, ص ٨٧.

اضطلعوا بالتاج ما هو ضروري لحرية الأحرار، وفي حين أن الأحرار استهلكوا حرية عبيدهم(٥٤).

وقد جسد الإغريق والرومان حريتهم في فنونهم وآدابهم والعابهم الأولمبية أيضاً. ففي فنهم الكلاسيكي تحقق التوازن الكامل بين المادة والروح دون طغيان لأحدهما على الآخر، تكون روح الأمة متجسدة في بطل الملحمة الذي يعبر عن تطلعات الأفراد وأفكارهم.

وقد أدى تعميق الحرية الفردية الجميلة لذاتها إلى نشأة مبدأ الفردية المجردة، وهو المبدأ الروحي الذي استندت إليه الحياة في العالم الروماني وقامت على أساسه الحرية هنا، الأمر الذي كشف عن كون الروح الرومانية هي الروح العملية للإنسانية، فتعمق الوعي الذاتي الفردي وأصبح وجها لوجه مع الإله(٥٥).

المرحلة الثالثة الجرمانية المسيحية: يرى هيجل أن هذه المرحلة هي الفعالية المثالية للذات التي تمضي إلى أبعد حد ممكن من تحقيق الذات والتحقق الكامل لحريتها في العالم(٥٦). وقد اضطلعت الأمم الجرمانية وحدها دون غيرها من الأمم الأخرى، ففي ظل المسيحية وصلت الروح عند هذه الأمم إلى كمال نضجها خاصة بعد الإصلاح الديني. وحققت الذات أقصى ما بوسعها بلوغه من حرية وعرفت نفسها بوصفها روحا إلهية(٥٧).

ففي الأمم الجرمانية - المسيحية "البروتستانتية" أصبح مبدأ الذات الداخلية للإنسان، الذي أكد عهد الإصلاح الديني حتمية الأخذ به - والعمل به في العلاقات المختلفة حقيقة قائمة، وبلغت الذاتية الفردية تمام تطورها وكمالها. أي أن الذات الفردية هذا قد أصبحت على وعي تام بوحدتها مع الكلي(٥٨).

---

(٥٤) فرانسوا شاتليه: **هيجل**، ، د.ط، ترجمة جورج صدقي، مراجعة فواد جرجي بربارة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م, ص ١٧٦-١٧٧.
(٥٥) هيجل: **مختارات**, ص ٧٧.
(٥٦) هيجل: **مختارات**, ص ٧٨.
(٥٧) صبحي، أحمد محمود: **في فلسفة التاريخ**، د.ط، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٥م، ص ٢٠٨.
(٥٨) هيجل: **العقل في التاريخ**، ص ١٢٢.

المبحث الثالث
الدولة وتحقيق الحرية

إن كليانية أو شمولية الدولة تظهر في قوانينها ونظمها التي تحدد العلاقة الداخلية للدولة بالأعضاء، لأن مراحلها المتتالية توجهها نحو واقع معين يقضي بوجود مؤسسات المجتمع وهيئاته التي تنظم الأفراد بوصفهم أشخاصا في المجتمع لا أفراد في أسرة.

أولاً: مفهوم الدولة وتحقيق الحرية:

يرى هيجل أن الدولة في حقيقتها وحدة جوهرية ذات كلية تتضمن حرية الذاتيات الواقعية، والذات في جوهرها وحدة للمتناقضات، وهي في كل مسير متناقض تحفظ ذاتها وتبقى في هويتها(٥٩).

فالدولة ذات الحكم الملكي الدستوري حسب هيجل هي من أنظمة الحكم الأمثل لتمثل الروح لتجسد أكمل شكل لتحقيق الفكرة الأخلاقية والتحقيق الفعلي للحرية، لأن سلطة الملك تتضمن ثلاثة عناصر كلية : كلية الدستور والقوانين، والمداولة بوصفها علاقة الجزئي بالكلي، ولحظة القرار الأعلى بوصفها تعيينا للذات، التي يستنتج منها ما سوف يأتي.

وبالتالي فإن النظام الملكي يحتل المرتبة الأولى بوصفه شكل الدولة الذي يتسم بالحرية الكاملة بفضل حكم الحق والقانون الذي يسوده في ظل ضمانات دستورية، ففي الملكية يعترف بحق الملكية والقانون وهما مصدرا الحرية والحقيقة(٦٠).

ولما كانت غاية الدولة هي المصلحة الكلية، فإن ذلك يعني أنها جوهر المصالح الجزئية، فالروح تعرف ذاتها وتريدها من خلال الثقافة التي تعرب عن حقيقة أن الدولة تعرف ما تريد وبالتي تتصرف حسب غاياتها المعروفة والمبادئ الواضحة(٦١).

(٥٩) قزرون: **المجتمع المدني عند هيجل**, ص ٧٩-٨١ ؛ فرانسوا شاتليه: **هيجل**، ص ١٢٨.
(٦٠) هيجل: **مبادئ فلسفة الحق**، ص ٤٢٩-٢١٨.
(٦١) بورجوا: **فكر هيجل السياسي**، ص ٧٥.

فالدولة عند هيجل هي الكلية التي يستعاد فيها عنصري التفكير والحرية الذاتي في وحدة روحية، في هوية أخلاقية تعرف فيها الهوية الطبيعية وتستقبلها كلحظة وتستخدمها كوسيلة لذاتها(٦٢).

أي أن مفهوم الدولة وتحقق فكرة الحرية عند هيجل يعني التوافق بين الكلي والفردي داخل السلطة العيا للمجتمع أي سلطة الدولة، التي تمثل الضرورة الخاصة والخارجية في مقابل الحقوق الخاصة للأسرة والمجتمع، ولأن الدولة هي مركب الأسرة والمجتمع المدني الذي يتحقق فيه الإتفاق التام للمصلحة العامة والخاصة(٦٣).

وعلى هذا النحو يتبين أن ما تفرضه الدولة من قيود، وما تضعه من قوانين يستهدف كحدود أو قيود بل على العكس من ذلك أنها شرط لازم للتحرر أو أن الدولة والمجتمع هما الإرتقاء بالفرد إلى مستوى الكلي، وبالتالي تحقيق حريته، وينبغي عدم النظر إليها الشرطان الأساسان لتحقيق الحرية(٦٤).

أي أن للدولة مكانة مميزة عند هيجل، بوصفها التحقق العيني للحرية، والتحقق الفعلي للفكرة الأخلاقية. وهو في ذلك يخالف فلاسفة القرن الثامن عشر الذين يؤكدون على أن الدولة المثالية تحافظ على الحرية الفردية(٦٥).

ولما كان المجتمع والدولة هما شرطا تحقق الحرية للروح في عالم الموضوعية القائم فعلا حسب هيجل فالنموذج البروسي الجرماني يجب معرفة الكيفية التي تتجلى من خلالها طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع. وكذلك طبيعة علاقة الدولة بالفرد لمعرفة كيفية تحقق الحرية في الواقع تحققا فعليا ومن خلال علاقة الدولة بالمجتمع والفرد عند هيجل وهو ما سيتم تناوله في المحورين التاليين.

(٦٢) هيجل: **مبادئ فلسفة الحق**، ص ٢٨٤.
(٦٣) هيجل: **العقل في التاريخ**، ص ١١٣.
(٦٤) إريك وايلي: **هيجل والدولة**، ط ٢, ترجمة نخلة فريفر, دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٦٦.
(٦٥) جان توشار: **تاريخ الفكر السياسي**، ط٢، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م، ص ٣٨٨.

ثانياً: الدولة والمجتمع:

يرى هيجل أن المجتمع المدني يوجد تحت صور مؤسسات وهيئات ليست في حقيقتها شيئا غريبا يقف تعارض مطلق مع الروح، مع الذات نفسها، هي بالضرورة نتاج الذات نفسها حين تخرج إلى عالم الموضوعية وهي لذلك تكون موضوعية بمقدار هي ذاتية على حد سواء والمجتمع المدني هو تحقيق الكلي بنوع من الحيلة وذلك المجتمع يتضمن في آن معاً اللحظات الثلاث التالية:

١- لحظة توسط الحاجة وإرضاء الفرد لها بعمله وبعمل الآخرين جميعا.

٢- واقيعة عنصر الحرية المتضمن في هذه المنظومة وهي الدفاع عن الملكية والعدالة.

٣- الحيطة من تجاوز هذه المنظومات، والدفاع عن المصالح الخاصة وكأنها شيء ما مشترك بالإدارة والمنظمات الحرفية (النقابات)[٦٦].

ويؤكد هيجل أن الإدارة ترتفع لتكون فكرا إذ تترك الدوافع تحدد نفسها وفقا للقوانين العقلية الكلية متخلية التي تقوم بها الإرادات الجزئية، كما أن عليه أن يهبط من العمومية إلى الحالات الفردية بحيث يوجد تفصيلات في الحياة وبالتالي لا بد من وجود المحاكم أو دور القضاء التي تمثل الحق وتدعمه بأحكامها[٦٧].

وهكذا يتبين أن القاعدة الصلبة للدولة هي الحرية العقلانية التي تتخذ صورة الضرورة لكي تعاش الحية بمعرفة عضو المجتمع بأن مصلحته وجوهره منطويان في مصلحة الدولة أو أن يعرف أعضاء المجتمع الدولة بوصفها جوهرهم وفيها يصونون دوائرهم الخاصة وشرعيتهم وسلطتهم وكذلك هيئاتهم لأن هيئات المجتمع المدني وتنظيماته تتضمن مباشرة نقطة اتصال الجزئي والكلي وفيها توجد القدرة والعمق اللذان تستمد الدولة منهما الموظف مما يعني أنه مهما حاول الفرد استهداف مصالحه الخاصة فإنه لن يبلغها إلا داخل الكلي ومهما حاول الكلي الطغيان على الفردي فإن كليته لن

(٦٦) ولتر ستيس: **فلسفة هيجل فلسفة الروح**، ط ٢, ترجمة إمام عبد الفتاح امام، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢م، ص ١٠٣.
(٦٧) ماركيوز: **العقل والثورة**، ص١٨٦.

تتحقق دون استهداف الفردي بتحقيق مصالحه الجزئية والخاصة[٦٨]. لأن الدولة هي واقعية الحرية المشخصة تقوم هنا على أن الفردية الشخصية ومصالحها الجزئية تتلقي نموها الكامل والاعتراف بحقوقها لذاتها في مؤسسات المجتمع المدني وهيئاته وفي تداخل أعمال هذه المؤسسات أو الهيئات تعبير عن المصالح الخاصة من جهة وتجسيد حضور الكلي من جهة أخرى وتسعى لتحقيق ذلك بوصفه الغاية العليا للمجتمع التي تعلو كل ذلك[٦٩].

ثالثاً: الدولة والفرد:

لما كانت الدولة - حسب هيجل – هي العقلاني في ذاته ولذاته، وهي التجسيد الحقيقي للفكرة الأخلاقية، والتحقق الفعلي للحرية، فإن ذلك يكشف أن علاقة الفرد بالدولة لا تعني أن الكلي والجزئي ضدان متعارضان تعارضا مطلقا أو هما مبدأن متضادان، بل أن الحقيقة القائمة هنا هي الاتحاد مع الاختلاف، لأن الطبيعة الحقيقة للدولة لا يمكن ان يعرفها إلا العقل الذي يدرك الهوية في الاختلاف. فحرية الفرد ومصالحه وغاياته لا توضع هكذا في جانب وغايات الدولة ومصالحها في جانب آخر يواجه كل منهما الآخر في تنافر وعداء لا يمكن التوفيق بينهما، بل أن غاية الدولة في المصلحة النهائية متحدان[٧٠].

والدولة تسعى عن وعي لتحقيق غاياتها الكلية، وهي على وعي بالغايات التي تنشدها وتعرف سبب ما تفعل، بدون أن تكون وسيلة لأي شيء آخر، بل هي غاية في ذاتها فإن من حق الأفراد أن تكون الحرية مصير جوهري ذاتي يتحقق عندما ينتمون إلى هذا الواقع الأخلاقي الموضوعي، ففي هذه الموضوعية يتحصلون على حقيقتهم كاملة، ويحوزون أيضا ماهيتهم الخاصة وكليتهم الصميمية[٧١].

---

(٦٨) هيجل: **مبادئ فلسفة الحق**، ص ٢٨٣.
(٦٩) أبو جابر: **الفكر السياسي الحديث**, ص ١٥٢- ١٥٣.
(٧٠) هيجل: **مبادئ فلسفة الحق**، ص ٣٤٠.
(٧١) هيجل: **مبادئ فلسفة الحق**، ص ٢٧٢

وهذا يعني أن قوانين الدولة ليست خارجة عن الأفراد، بل هي تجسيد لإراداتهم لأن حيوية الإرادة تتميز بوجهين:

الوجه الأول: تنشد نفسها حين تريد الكلي، وتطلبه دون وعي منها وذلك لأن الكلية هي جوهر هذه الإرادة المميزة(٧٢). ولهذا السبب لم تكن الأخلاق مسألة خاصة وإنما هي قانون كلي لنظام شامل.

الوجه الثاني: الدولة تتيح للفرد فرصة التحرر من فرديته، إذ ترفعه إلى القيام بوظيفته الحقيقية ككائن عاقل، وأن يعيش كمواطن دولة(٧٣). ويرى هيجل ان العصر الحديث تحققت فيه السيادة لهذا المبدأ، فقد ظهر الأخذ بالمصلحة الفردية بقيام الثورة الفرنسية فساد مبدأ تقديم مصلحة الأفراد وتأكيد الشعور بالذاتية حينما طالبت الثورة بتأكيد حقوق الفرد المتمثلة في الحرية والمساواة والإخاء، ولكن الدولة البورسية جاءت لتوفق بين مبادئ الحرية الفردية التي أعلنتها الثورة الفرنسية وبين الكلية الجوهرية للدولة، ولتجعل ذلك التوفيق حقيقة قائمة في دولتها الملكية التنظيم السياسي، والمسيحية الديانة(٧٤). وهذا يعني أن هيجل يرى أن الدولة الملكية البورسية هي حقا الدولة الشمولية، والتي يكون مواطنوها أحرارا، وبالتالي فهي الدولة التي يتمثل فيها أكمل أشكال حرية الروح واسماها ولذلك هناك من يرى أن التسلط الذي ساد ألمانيا منذ عهد بسمارك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وتأخر الديموقراطية فيها، ما هو إلا نتاج لفكر هيجل(٧٥)

الخاتمة

تتمثل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فيما يلي:-

أولاً: ارتكاز فلسفة هيجل التاريخية وفكره السياسي على مفهومي الروح (العقل) والحرية (الذات الحرة) العاقلة وتحققها الفعلي، ويؤكد الأول أن العقل حكم العالم وما يزال،في حين يفصح الثاني أن الحرية هي ماهية الروح وحقيقتها الوحيدة وغايتها المثلى. كما أن الفكر الذي يحكم العالم بحسب هيجل – يتضمن العناصر الجوهرية للمراحل السابقة، ولكنه عاجز عن التنبؤ بما سيكون عليه حال الحرية في المستقبل(٧٦).

(٧٢) أبو جابر: **الفكر السياسي الحديث**, ص ١٥٣- ١٥٤.
(٧٣) هيجل: **العقل في التاريخ**, ص ٦٣.
(٧٤) هيجل: **مبادئ فلسفة الحق**، ص ٢٤٤
(٧٥) جان توشار: **تاريخ الفكر السياسي**، ص٣٩٠
(٧٦) هيجل: **العقل في التاريخ**, ص ١٠٧.

وبحسب هيجل فإن وعي الروح بذاتها وحريتها قد تدرج من وجود فرد واحد حر في العالم الشرقي إلى وجود حرية جزئية في العالم اليوناني الروماني إلى وجود الحرية التامة في الدولة البروسية المسيحية البروتستانتية. علاوة على أن شكل الحرية التي يفصح عنها فكر هيجل السياسي هو حرية الفرد في الدولة الحديثة، الذي انتصرت له الثورة الفرنسية وحقق توازنه في الدولة البروسية بين حرية الفرد في اطار كلية الدولة.

ثانياً: إن ما انتهى إليه هيجل في فلسفته التاريخية وفكره السياسي بأن مسألة الحرية تكشف عن التقدم التاريخي للوعي بالحرية، تبقى مسألة فلسفية – أخلاقية نقلت الجهود العينية التي بذلت لإقامة شكل معقول من أشكال الحكم إلى المستوى الفلسفي حيث تجلت هذه الجهود في إيضاح معالم فكرة العقل والحرية والدولة وعلاقة كل ذلك باالفرد والمجتمع.

ثالثاً: اشتمال الفلسفة التاريخية الهيجلية على بعض الأفكار التي تكشف عنصرية صاحبها كفكرة المركزية الأوربية إذ اعتبر هيجل أوربا هي مركز تحقيق الحرية طوال التاريخ لأن العالم الشرقي خضع للإستبداد. كما أنه يعاب عليه تجاهله للحضارة العربية الإسلامية ورد ما تحقق من نسمات حرية في الحضارة المصرية إلى اليهود، معتقداً بصورة خاطئة أن ذلك كان ايحاء بدور اليهود في الحضارة المصرية.

رابعاً: إن تركيز هيجل على التوازن بين حرية الفرد التي دعا لها فلاسفة القرن الثامن عشر وانتصرت له الثورة الفرنسية وبين كلية الدولة في نظر الباحث كان ناتجاً عن التحولات التي طرأت على الثورة الفرنسية وكذلك أوضاع ألمانيا غير الموحدة حيث أن التوازن الذي أكد عليه هيجل سيساهم في تحقيق الوحدة الألمانية ويحفظها من المشاكل التي اعترضت الثورة الفرنسية.

قائمة المصادر والمراجع

١) إمام عبد الفتاح إمام: **المنطق الجدلي عند هيجل**، دراسة لمنطق هيجل رسالة دكتوراه منشورة، ط ٢، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٢م.

٢) ---- : **دراسات هيجلية**، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م.

٣) أيك وايل: **هيجل والدولة**، ترجمة نخلة فريفر، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٦م.

٤) برناربورجوا: **فكر هيجل السياسي**، ترجمة : الأب إلياس زحلاوي، وزارة الثقافة، دمشق،١٩٨١م.

٥) بيضون، إبراهيم: **الثورة الفرنسية بين المؤثرات وتناقض المكان** .. مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء، بيوت، العدد ٥٩، ١٩٩٠م.

٦) جان ادوارد سبنله: **الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه**، ترجمة تيسير شيخ الأرض، وزارة الثقافة دمشق، ١٩٦٨م.

٧) جان توشار: **تاريخ الفكر السياسي**، ط٢، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م.

٨) جان جاك روسو: **العقد الاجتماعي**، ترجمة، يولس غائم، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٧٢م.

٩) حامد خليل: **مشكلات فلسفية**، منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٤م.

١٠) حمد كمال الدسوقي: **تاريخ ألمانيا الحديث**، دار المعارف، القاهرة،١٩٩٦م.

١١) الديدي، عبد الفتاح: **فلسفة هيجل**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٢) روجيه غارودي: **فكر هيجل**، ترجمة : إلياس مرقص، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٣) ---- : **كارل ماركس**، ترجمة : جورج طرابيشي، دار الأدب، بيروت،١٩٧٠م.

١٤) رينيه سيرو: **هيجل والهيجلية**، ترجمة نهاد رضا، دار الأنوار، بيروت، د.ت.

١٥) كامل، محمد عويضة: **هيجل دراسة وتحليل في الفلسفة المعاصرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

١٦) مراد، محمد: **المدارس التاريخية الكبرى**، مكتبة الفقيه، بيروت، ١٩٩٦م.

١٧) نازلي حسين: **الشعب والتاريخ عند هيجل**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٨) هربرت ماركيوز: **العقل والثورة**، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة المصرية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

١٩) هيجل: **العالم الشرقي**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٠) ----: **العقل في التاريخ**، ط٢، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة، فؤاد زكريا، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤م.

٢١) ----: **مختارات**، ج٢، ترجمة : إلياس مرقص، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٢) ----: **محاضرات في فلسفة التاريخ**، ج ١، ط ٢، ترجمة وتعليق وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ١٩٨١م.

٢٣) واتر سايس: **فلسفة هيجل**: **المنطق وفلسفة الطبيعة**، ترجمة، إمام عبد الفتاح امام مع ٣٠١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

٢٤) ولتر ستيس: **فلسفة هيجل فلسفة الروح**، ترجمة إمام عبد الفتاح امام، ط ٢، دار التنوير، بيروت ١٩٨٢م.